# التباين الاجتماعي في العصر الحجري الحديث بمنطقة النيل الأوسط

أ/ ريهام محمود زكي السيد، أ.د. زكريا رجب عبد المجيد، د.حندوقة إبراهيم فرج

**مُلَخّص:**

لقد أمدتنا أعمال البحث العلمي، والحفائر بصورة شبه واضحة عن الحياة السابقة خلال عصور ما قبل التاريخ، لا سيما العصر الحجري الحديث بمنطقة النيل الأوسط والتي يقصد بها وادي النيل والمنطقة فيما حوله بين الجندل الأول شمالاً، والجندل السادس جنوباً عند ملتقى النيلين الأبيض والأزرق عند الخرطوم. وهى ذلك تضم ٣ مناطق رئيسية: النوبة السفلى، النوبة العليا، وسط السودان. وقد ركزت معظم الأعمال العلمية على دراسة الجبانات بمنطقتي النوبة العليا (كمواقع: البرقة، كدركة، R12 )، ووسط السودان (مثل مواقع: الكدرو، الغابة، الكدادة) حيث تمت دراسة البقايا الآدمية، والمواد الثقافية المصاحبة للدفنات (الأثاث الجنائزي). ومن خلال الدراسة المفصلة، يظهر لنا العديد من الجوانب الهامة لا تقتصر فقط على الحياة الجنائزية وعادات الدفن، ولكن أيضاً الجانبين الاقتصادي والاجتماعي.

تلقى هذه الورقة البحثية الضوء على بعض الجوانب المتعلقة بالتباين الاجتماعي بمنطقة النيل الأوسط من خلال تحليل ودراسة الأثاث الجنائزي سواء العدد أو الكمية أو المواد المستخدمة لصناعته (محلية – مستوردة)، كمحاولة لإيضاح الجوانب المختلفة للمجتمع النيوليثي بمنطقة النيل الأوسط.

**كلمات مفتاحية**

العصر الحجري الحديث (النيوليثي)، دفنات، السودان، النوبة العليا، أثاث جنائزي.

**Summary:**

**Social differentiation in Neolithic Communities in the Middle Nile Region**

**Throughout the archaeological research in the Middle Nile Region (the area from the first cataract north to the sixth cataract south where the blue and White Nile are connected), a better understanding of the human past life during Neolithic can be established. Middle Nile Region includes three important culture areas: Lower Nubia, Upper Nubia and Central Sudan. Most of the archaeological research is focused mainly on cemeteries in Upper Nubia (El- Barga, R12 and Kadruka) and Central Sudan (Kadero I, Ghaba and Kadada). In addition to the excavation of the Neolithic burials with the detailed study of both burials, cultural materials and the funeral goods that accompanied the deceased. The archaeological research also converges the re-examination of the cultural materials (mainly funeral goods) from the previous projects that were initiated earlier. The analysis of these data identifies remarkable results about Neolithic past life, not only the funeral aspect but also the socio-economic aspect of these communities.**

**The current research aims to highlight various aspects of the social differentiation in Neolithic communities in the Middle Nile Region based on analyzing the distribution of the funeral goods in burials according to their quantity, quality, and materials, in addition to other important elements that reflect the notable status of certain burials such as special treatment and/or spatial distribution of burials in the cemetery. Furthermore, to emphasize the possible contact between these communities by highlighting some common features or behaviors.**

**Keywords :**

**Neolithic burials, Middle Nile Region, Sudan, Upper Nubia, Funeral goods..**

## أولاً: التعريف بمنطقة النيل الأوسط Middle Nile Region :

يقصد بمنطقة النيل الأوسط Middle Nile Region وادي النيل – والمنطقة المحيطة به شرقاً وغرباً – عند ملتقي النيلين الأبيض والأزرق عند الخرطوم جنوباً، وحتى الجندل الأول عن أسوان شمالاً.(١) وقد لعب العامل الفيزيوجرافي Physiographic Setting دوراً هاماً في التجانس الثقافي في وادي النيل في كل من مصر والسودان في التطور الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وذلك خلال العصرين الحجري الوسيط (الميزوليثي) والحديث (النيوليثي)، إلا أن ندرة الأبحاث في عصور ما قبل التاريخ قد شكلت عائقاً لدراسة الاختلافات الإقليمية ودراسة مراحل هذا التطور. وتتسم مواقع العصر الحجري الوسيط في السودان بإنتاج الفخار والإقتصاد القائم على الجمع والإلتقاط وصيد الأسماك. وقد تطورت هذه المجموعات إلى نمط الحياة النيوليثي مع وجود بعض الهجرات من مناطق أخرى ساعدت على هذا التطور.(٢)

يؤرخ العصر الحجري الحديث (النيوليثي) في منطقة النيل الأوسط من الألفية السادسة ق.م وحتى أواخر الألفية الرابعة ق.م. وقد أمكن دراسة أنماط استيطان الإنسان القديم خلال هذا العصر من خلال دراسة التوزيع الجغرافي للمواقع النيوليثية بالمنطقة، كذلك دراسة هذه المواقع من حيث حجمها ومساحتها ومقدار الآثار التي عثر عليها بتلك المواقع. ومن خلال أعمال البحث الأثري، فقد تم معرفة أن الألفية السادسة ق.م قد شهدت تغيرات كبيرة في أنماط الاستيطان. فخلال بداية الألفية السادسة ق.م، كانت المواقع النيوليثية منتشرة في النوبة السفلى، وكانت صغيرة المساحة تبلغ مساحتها ما بين حوالي٢٠– ٤٢٠٠ م. وقد تم هجران الكثير من تلك المواقع صغيرة المساحة بحلول ٣٠٠٠ ق.م. أما التغير الآخر في نمط الاستيطان، فقد حدث في نهاية الألفية السادسة. فبحلول ٥٠٠٠ ق.م، حيث انتشرت المواقع النيوليثية في منطقة دنقلة Dongola Region في النوبة العليا. وقد عكس وجود هذه المواقع نوعاً من الاستقرار الكثيف في هذه المنطقة.(٣)

---

1) Connah, G. (2001). African Civilizations: An Archaeological Perspective (Second Edition ed.). Cambridge, UK: Cambridge University Press. p.21

وكذلك، انظر: شكل رقم (١): توضيح لمنطقة النيل الأوسط: النوبة السفلى شمالا، النوبة العليا، ثم السودان الأوسط جنوباً مع أهم المواقع التي ترجع لعصور ما قبل التاريخ: العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي)، والعصر الحجري الحديث (النيوليثي) بالمنطقة.

2) Usai, D. (2016)_https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780199935413.013.56. (accessed on 1\7\2019)

3) Sadig, Azhari Mustafa. (2010). "Neolithic Settlement Patterns and Cultural Sequence of Nubia (Northern Sudan)." *Sahara* 21. p. 117.

## ثانياً: الجبانات كمصدر تاريخي لدراسة المجتمع خلال العصر الحجري الحديث:

تؤرخ مواقع جبانات العصر الحجري الحديث ما بين الألفية الخامسة ق.م إلى بداية الألفية الثالثة ق.م، وفي بعض الأحيان يستخدم مصطلح "Horizon" (أفق) كبديل لمصطلح "Culture" أو "Phase" [١]. وقد تم تمييز ٤ آفاق: الأفق الأول يغطي الألفية الخامسة ق.م وتمثله موقع (البرقة) في النوبة العليا بشمال السودان، وموقع (الجيلي) في منطقة الخرطوم بوسط السودان. بينما يغطي الأفق الثاني من نهاية الألفية الخامسة ق.م وحتى نهاية الألفية الرابعة ق.م ويمثله موقع (الغابة) في منطقة شندي، وموقع (الكدرو) بمنطقة الخرطوم بوسط السودان. أما الأفق الثالث، فيمتد لبدايات الألفية الثالثة ق.م، ويمثله موقع (كدركة) بقطاع دنقلة الشمالي بالنوبة العليا، وموقع (الصور) في منطقة شندي بوسط السودان. أما الأفق الرابع والأخير فيغطي نهايات العصر الحجري الحديث حيث بدايات الألفية الثالثة حتى بدايات الألفية الثانية ق.م، ويمثله موقع (الكدادة) في منطقة شندي بوسط السودان.[٢] ومع قلة العثور على بقايا المستوطنات في مواقع العصر الحجري الوسيط والحجري الحديث في السودان، فقد مثلت الدفنات مصدراً ثقافياً هاماً لدراسة المجتمع: فقد أوضحت الدراسات التي تناولت المجتمع في منطقة النيل الأوسط خلال الفترة الممتدة من ٥٠٠٠ إلى ١٥٠٠ قبل الميلاد أن السكان كانوا في بداية الأمر جماعات تنتشر في منطقة جغرافية واسعة، مع التركيز على نهر النيل الرئيسي وفروعه، غير أن أعدادهم كانت صغيرة خلال العصر الحجري الوسيط والعصر الحجري الحديث وهي الفترة التي تغطي الهولوسين المبكر والأوسط، وربما كانت النواه الأولى مع حياة القرية التي يمكن أن تصل الى مستوى من التنظيم الاجتماعي القبلي ترجع العصر الحجري الحديث، ثم كان هناك تحولاً كبيراً في التنظيم الاجتماعي في شكل أقرب إلى المشيخات (Chiefdoms) ربما تميزت في نهايتها بمعايير أخرى كالسلطة والتفاوت الاجتماعي بين الطبقات الاجتماعية.[٣]

وفي محاولة إثبات هذا التنظيم الاجتماعي، فقد ركزت بعض الدراسات في مواقع العصر الحجري الحديث بالسودان بشكل أساسي على الأثاث الجنائزي أو محتويات القبر، بهدف التعرف على

---

١) نصر أحمد حامد (ديسمبر ٢٠١٤). تباين مقابر آفاق العصر الحجري الحديث في السودان (الشكل والمحتوى) من خلال موقعي رتيج بالسبلوقة وقلعة شنان بشندي. مجلة آداب- جامعة الخرطوم. العدد ٣٣. ص ١٧٣

٢) نصر أحمد حامد (٢٠١٤). ص ١٧٣

٣) أزهري مصطفى صادق (أكتوبر ٢٠١١). الإقتصاد الرعوي وتطور النظم الاجتماعية في السودان في فترة العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠-٣٠٠٠ق.م). *مجلة الدراسات السودانية*. ص١٣٥.

**التباين الاجتماعي بين سكان العصر الحجري الحديث وظهور المجتمعات المعقدة في المنطقة. ففي البداية، اعتقد (أركل Arkell) خلال حفائره في الشاهيناب أن الجماعات البشرية خلال العصر الحجري الحديث المبكر لم يقوموا بدفن موتاهم، ولكن منذ أواخر السبعينات من القرن العشرين، من خلال أعمال الحفائر المنظمة تم الكشف عن جبانات نيوليثية في (الكدرو)، و(الجيلي) في منطقة الخرطوم، و(الكدادة) و(الغابة) في منطقة (شندي)، و(كدركة) و(البرقة) ومواقع (R12) و(الملتقى) في قطاع دنقلة الشمالي بالنوبة العليا.[١]**

**كما تم الكشف عن بعض الجبانات النيوليثية بجانب بقايا المستوطنات الواقعة على طول ضفاف النيل، مثل الجبانة التي كشف عنها (سميث Smith) على الضفة الغربية للنيل شمال دنقلة، لكن لم يتم نشرها علمياً. كما تم تسجيل عدد (٢٨٢) موقع نيوليثي على الضفة اليمنى للنيل ما بين (كريمة Karima) و(خور الداجوالي Khor el-Dagwali) شرق الجندل الرابع، ولكن حتى الآن لم يتم إجراء حفائر منظمة أو نشر تقارير علمية عن تلك المنطقة التي إقتصر العمل فيها على المسح الأثري. بالإضافة إلى تسجيل عدد آخر من الدفنات النيوليثية في جزيرة Umm Melyakta Island حيث تم الكشف عن ١٩ دفنة نيوليثية، إلا أنه لم يتم نشرهم بالكامل.[٢] وبخصوص المنشورات عن الدفنات النيوليثية في السودان خلال السنوات الأخيرة، فيمكن حصرها في أعمال (ويلزبي Welsby) في قطاع دنقلة الشمالي[٣]، كذلك أعمال البعثة الإيطالية بقيادة كل من (سالفتوري Salvatori) و(أوساي Usai ) في موقع (R12) في قطاع دنقلة الشمالي، وإعادة دراسة بعض المواد الثقافية ناتج حفائر موقع الغابة.[٤]**

---

1) Sadig, Azhari. (2010). The Neolithic of the Middle Nile Region: An Archaeology of Central Sudan and Nubia. First Edition. Kampala: Fountain Publishers. p. 206.

– كذلك: انظر خريطة رقم (١): تمثل منطقة النيل الأوسط موضح بها مواقع العصر الحجري الحديث بها.

2) Sadig, A. (2010). Pp.206-7

٣) انظر على سبيل المثال:

Welsby, D. A. (ed.) (2001). *Life in the Desert: Seven Thousand Years of Settlement in the Northern Dongola Reach, Sudan.* Sudan Archaeological Research Society Publications 7(2). Oxford: Archaeopress.

٤) انظر على سبيل المثال:

Salvatori, S., and Usai, D. (eds.) (2008). *A Neolithic cemetery in the Northern Dongola Reach (Sudan): Excavation at Site R12.* Oxford: Archaeopress.

## ثالثاً: أهم الجبانات النيوليثية في منطقة النيل الأوسط:

أ- النوبة العليا (شمال السودان):

تم عمل مسح آثاري وأعمال حفائر منظمة على طول المنطقة من (حوض كرمة Kerma Basin) و(وادي خوي Wadi el- Khowi) بقطاع دنقلة الشمالي. وخلال تلك الأعمال، تم الكشف عن بعض الجبانات النيوليثية بالمنطقة التي يبدو أنها قد شهدت استيطاناً بشرياً كثيفاً. وكان يتم إختيار أماكن الجبانات في تلال أو أكوام منعزلة (والتي تبدو حالياً أنها أماكن منبسطة) بعيدة عن أماكن السكن. وقد تم الكشف عن ١٧ جبانة، ٥ منهم فقط قد تم دراستها، ٣ جبانات تم حفرهم بالكامل، بينما باقي العدد لا يزال في طور الحفائر. وتغطي هذه الجبانات الألفية الخامسة والرابعة قبل الميلاد، وبذلك فهي تعطي لنا بعض المعلومات عن التطور في عادات وممارسات الدفن، كذلك التطور في العلاقات الإجتماعية بين تلك المجتمعات المبكرة التي استطاعت ممارسة الزراعة وتربية الحيوان.[1] وفيما يلي أهم الجبانات النيوليثية المكتشفة في منطقة النوبة العليا:

| اسم الموقع | المنطقة | التأريخ | طبيعة الموقع وصف البقايا الأثرية | أعمال البحث الاثري بالموقع |
|---|---|---|---|---|
| البرقة | منطقة كرمة، على بعد ١٥ كم شرق مدينة كرمة. | من العصر الحجري الوسيط "الميزوليثي" وحتى العصر الحجري الحديث المبكر Early Neolithic، أي حوالي من ٧٨٠٠ ق.م وحتى ٥٥٠٠ ق.م<br>• الجبانة النيوليثية تؤرخ من ٦٠٠٠-٥٥٠٠ ق.م | • بقايا مستوطنات + دفنات (ميزوليثية – نيوليثية)<br>• ١٤٤ دفنة نيوليثية تنقسم إلى قطاعين: شمالي وجنوبي (٤١ ميزوليثية، ١٠٣ نيوليثية). | البعثة السويسرية منذ عام ٢٠٠١. |
| جبانات كدركة (حوالي ١٧ جبانة) | قطاع دنقلة الشمالي، ما بين مناطق كرمة شمالاً والكوة جنوباً، بالقرب من وادي الخوي | يتراوح تأريخها من الألفية السادسة ق.م وحتى الألفية الرابعة ق.م.<br>كدركة ١٨ : حوالي ٤٤٧٠ – ٤٢٥٠ سنة ق.م<br>كدركة ١٣: ٤٩٤٠-٤٧٢٠ | ٧٥٠ دفنة نيوليثية تم حفرها ودراستها في ٦ مواقع من أصل ١٧ تل. | القسم الفرنسي لمصلحة الآثار السودانية– العمل مستمر حتى الآن. |

1) Sadig, A. (2010). p.216

| اسم الموقع | المنطقة | التأريخ | طبيعة الموقع\ وصف البقايا الأثرية | أعمال البحث الاثري بالموقع |
|---|---|---|---|---|
| | | ق.م<br>كدركة ٢١: ٤٧٩٠ – ٤٧٢٠ ق.م | | |
| R12 | قطاع دنقلة الشمالي، على بعد كيلومترات قليلة شرق الكوة في حوض السليم | تؤرخ الجبانة للعصر الحجري الحديث الوسيط Middle Neolithic، حيث كانت تستخدم من أواخر الألفية السادسة وحتى أواخر الألفية الخامسة ق.م | ١٦٦ دفنة نيوليثية. | مشروع مشترك بين SARS و Ce.Ve.S.C.O خلال أعوام ٢٠٠٠– ٢٠٠٣. |
| الملتقى | مقاطعتي الجباشي وأبو دوم، ما بين الضبة وكورتي. | حوالي النصف الثاني من الألفية الخامسة ق.م | إجمالي عدد الدفنات: ٤٢ دفنة، وتتوزع الدفنات على ١٨ تل متنوعة المساحة قليلة الإرتفاع (حوالي ١٥– ٢٠ سم)، وكل تل منها يضم حتى ستة دفنات كحد أقصى. | مشروع مسح أثري ضمن مشروع إنقاذ بواسطة القسم الفرنسي بمصلحة الاثار السودانية وكذلك الوحدة الفرنسية ب NCAM خلال موسمي عمل ٢٠٠١ – ٢٠٠٢. |
| L8, L14 O18, M4 | قطاع دنقلة الشمالي، شمال كدركة. | العصر الحجري الحديث (؟)، العصر الحجري الحديث المتأخر Late Neolithic حيث عثر على كأس توليب بأحد الدفنات بموقع L14 . | • بقايا مستوطنات نيوليثية + دفنات.<br>• تم العمل بأربع دفنات بموقع L14<br>• دفنة واحدة بموقع M4 | مشروع مشترك بين مصلحة الآثار السودانية ومتحف أونتاريو الملكي بكندا. |

جدول(١): بيان بأهم الجبانات النيوليثية في منطقة النيل الأوسط – النوبة العليا. المصدر: بواسطة الباحثة.

ب- <u>الجبانات في وسط السودان:</u>

من خلال أعمال الحفائر، تم الكشف عن العديد من المواقع التي ضمت بقايا دفنات بوسط السودان، لعل أشهرها مواقع: (الكدرو) الذي تم العمل به منذ السبعينات من خلال البعثة البولندية برئاسة (كريزانياك)، واستمر العمل به لمدة تزيد عن ٣٠ عاماً، وموقعي (الكدادة) و(الغابة) من خلال أعمال القسم الفرنسي بمصلحة الاثار السودانية)، ومواقع (الصور) و(قلعة شنان) من خلال أعمال جامعتي الخرطوم وشندي بالسودان.

| الموقع | المنطقة | التأريخ | طبيعة الموقع/ وصف البقايا الأثرية | الاكتشافات والأعمال السابقة |
|---|---|---|---|---|
| الكدرو ١ | يقع على بعد ٢٠ شمال الخرطوم على الجانب الشرقي للنيل | حوالي ٤٨٥٠-٤٢٥٠ ق.م<br>العصر الحجري الحديث المبكر Early Neolithic ، وحتى العصر الحجري الحديث المتأخر Late Neolithic<br>كما يوجد بعض البقايا التي ترجع لاحقاً للفترة المروية، والعصور الوسطى. | • بقايا مستوطنات + دفنات. | البعثة البولندية خلال أعوام من ١٩٧١ وحتى ١٩٨٩ بالإشتراك مع مصلحة الآثار السودانية. |
| الغابة | على بعد ١٥٠ كم شمالاً في إقليم تراجما، وعلى بعد أقل من كيلومتر واحد من الكدادة | من بدايات الألفية الخامسة ق.م إلى بدايات الألفية الرابعة ق.م | تم حفر عدد ٢٦٥ دفنة، من ضمنهم عدد ١٤٢ دفنة تحتوي على أواني فخارية كأثاث جنائزي، منهم عدد ١٣٥ دفنة تحتوي على أكثر من إناء واحد بالدفنة. | تم العمل بالموقع خلال السبعينات، ثم تم إعادة دراسة المواد الثقافية حديثاً. |
| الكدادة | يبعد عن الخرطوم بحوالي ٢٠٠ كم، على الضفة اليمنى للنيل | حوالي من ٥٥٠٠-٤٥٠٠ سنة ق.ح أي حوالي من ٣٥٠٠ ق.م – ٢٥٠٠ ق.م<br>أي أنها تعاصر بداية من الخرطوم النيوليثية | • بقايا مستوطنات + دفنات.<br>• تم دفن الأطفال دون سن السادسة داخل أواني فخارية | مشروع حفائر إنقاذ قام بها القسم الفرنسي التابع للهيئة القومية للآثار والمتاحف السودانية عام ١٩٧٦ واستمر العمل بالموقع لمدة ٩ مواسم |

| الموقع | المنطقة | التأريخ | طبيعة الموقع/ وصف البقايا الأثرية | الاكتشافات والأعمال السابقة |
|---|---|---|---|---|
| | | (الشاهيناب) إلى أخر مراحل النيوليثي ثم ثقافة المجموعة الأولى A- Group Culture | وسط المستوطنة. | حتى عام ١٩٨٦. |
| الجيلي | على بعد ٤٦ كم شمال الخرطوم، على الضفة الشرقية من النيل في مقابل قرية الشاهيناب | الموقع قد تم سكناه منذ العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي) ثم خلال العصر الحجري الحديث، ثم أعيد استخدامه كجبانة بداية من العصر الحجري الحديث المتأخر وحتى العصر المروي. | • بقايا مستوطنات + دفنات تؤرخ للعصر الحجري الحديث المتأخر. | بدأت أعمال الحفائر بالموقع منذ عام ١٩٧٢ من خلال البعثة الإيطالية. |
| قلعة شنان | يقع شمال الخرطوم حوالي ١٧٠ كم بمدينة شندي ضمن مجموعة مواقع نيوليثية تم الكشف عنها بالمنطقة. | العصر الحجري الحديث المتأخر | • بقايا مستوطنات + دفنات<br>• تم العمل بعدد ١٨ دفنة بالموقع. | بدأ العمل بالموقع في الثمانينيات، ثم توقف العمل، ثم استكمل عام ٢٠١١ وحتى ٢٠١٣ من خلال قسم الآثار والمتاحف بجامعة شندي. |
| الصور | يقع شرق القرية الحديثة التي تحمل نفس الاسم، شمال مدينة مروي (تبعد عنها حوالي ٧٥٠م فقط) | العصر الحجري الحديث المتأخر (أي أواخر الالفية الخامسة ق.م، وأوائل الألفية الرابعة ق.م | • بقايا مستوطنات + دفنات (الموقع في الأساس سكني، وتم الدفن وسط المساكن).<br>• تم دفن الأطفال دون سن السادسة داخل أواني فخارية وسط المستوطنة. | مشروع المسح الأثري الذي قام به قسم الآثار بجامعة الخرطوم في المنطقة شمال مروي من عام ٢٠٠٤ وحتى ٢٠٠٦. |

| الموقع | المنطقة | التأريخ | طبيعة الموقع/ وصف البقايا الأثرية | الاكتشافات والأعمال السابقة |
|---|---|---|---|---|
| رتيج | منطقة السبلوقة | العصرين الحجري الحديث المبكر والمتأخر | • بقايا مستوطنة + دفنات<br>• تم الكشف عن ٦ دفنات بالموقع. | بعثة جامعة تشارلز التشيكية والهيئة العامة للآثار والمتاحف عام ٢٠١٣، ثم قسم الآثار بجامعة النيلين بعمل حفائر بموقع رتيج. |
| Khor Shambat 1 | منطقة أم درمان على الضفة الغربية للنيل | العصر الحجري الوسيط والحديث | • بقايا مستوطنات (ميزوليثية– نيوليثية) وإعادة استيطان لاحقة خلال العصر المروي.<br>• الكشف فيه عن ٦٦ دفنة من بينها ٣٠ دفنة تؤرخ للعصر الحجري الحديث، وتم الدفن وسط المساكن وليس في موقع جبانة مخصص للدفن. | تم الكشف عن الموقع عام ٢٠١٢ من خلال مصلحة الآثار والمتاحف السودانية NCAM وبعد ذلك، تم إجراء أعمال حفائر إنقاذ من خلال فريق عمل مشترك من أكاديمية العلوم البولندية – جامعة وارسو عام ٢٠١٦، وحتى الآن. |

جدول(٢): بيان بأهم الجبانات النيوليثية في منطقة النيل الأوسط – وسط السودان. المصدر: بواسطة الباحثة.

## رابعاً: التباين الاجتماعي من خلال الدراسة التحليلية للدفنات:

إن القطع الأثرية التي يعثر عليها داخل الدفنات غالباً ما تكون هى نفسها المستخدمة في الحياة الدنيا، ومع ذلك فإن هناك ميزة إضافية لمواقع الدفن عن أماكن المستوطنات وهى أنها جيدة الحفظ بالمقارنة بأماكن السكن التي لم يتبق منها الكثير من الشواهد، كما أنها أكثر تنوعاً. على سبيل المثال، فإن القطع الأثرية (كالفخار مثلاً) حتى وإن عثر عليها مكسورة لكنها غالباً ماتكون كاملة، وكذلك الأدوات المركبة نجد كل عناصرها موجودة. كما أن الجبانات توفر لنا نوعاً أخر من الأدلة مثل

البقايا النباتية والحيوانية القديمة متوفرة داخل سياق أثري واضح، ويمكن تأريخه.[1] ويؤكد (رينولد) على أهمية دراسة كل العناصر بالجبانة (حفر الدفن، البقايا البشرية، والمواد الأثرية) وتحليلها معاً بناء على الطبقات الأثرية وتتابعها، ودراسة التوزيع المكاني للدفنات، يوفر لنا قاعدة وأساس لتفسير تلك الدفنات النيوليثية والتي غالباً ما تعطينا صورة عن أسس المجتمع النيوليثي.[2]

وعلى هذا الأساس، ومن خلال دراسة الدفنات، تم تحديد عدد من العناصر لإيضاح وجود تباين اجتماعي بين الدفنات النيوليثية من عدمه بمنطقة النيل الأوسط، واستعراض الأمثلة من الجبانات المختلفة. وهذه العناصر هى:

## ١- التوزيع المكاني للدفنات:

يعتبر التوزيع المكاني للدفنات بالجبانة من العناصر الهامة التي يجب وضعها في الإعتبار عند دراسة الدفنات. ويمكن ملاحظة بعض النقاط في هذا الخصوص، على سبيل المثال:

أ- تكدس الدفنات معاً في حيز محدود قد يشير إلى فقر هذه الدفنات، على سبيل المثال في (الكدرو ١) حيث حسب تصنيف (كريزيانياك) للدفنات إلى أربع فئات حسب وجود الأثاث الجنائزي بها، نجد أن دفنات الفئات الأولى والثانية (الأفقر) قريبة من بعضها ومكدسة، وذلك على العكس من الدفنات التي تنتمي للفئة الرابعة، أو الصفوة كما أسماها*.

ب- قرب أو بعد الدفنات من أماكن المستوطنات، قد يعتبر مؤشراً لغنى أو فقر الدفنات، على سبيل المثال: جبانة المستوى الثاني بالكدرو ١ (الجبانة الشمالية) تقع بعيداً على أماكن المستوطنات بالمقارنة مع جبانة المستوى الأول، وهى أكثر فقراً بالمقارنة مع نظيرتها الشمالية.

ج- وجود فصل بين دفنات الذكور والإناث، على سبيل المثال: في جبانة (كدركة١) أغلب الدفنات الواقعة بالجزء المرتفع من التل هى دفنات ذكور، بينما الدفنات الواقعة بالجزء المنخفض من

---

1) Reinold, J. (2001). Kadruka and the Neolithic in the Northern Dongola Reach. *Sudan & Nubia*, SARSN5. p.2.

2) Reniold, J. (2001). p.2

* من خلال أعمال (كريزانياك)، قام بعمل تصنيف للدفنات التي عثر عليها بالكدرو حيث قسمها إلى ٤ فئات حسب توزيع الأثاث الجنائزي بها، على النحو التالي: الفئة الأولى Class I تخلو من أي أثاث جنائزي، الفئة الثانية Class II وهى تضم إناء واحد من الفخار، الفئة الثالثة Class III وهى تضم إما إناء فخاري و\أو قطعة من أغراض الزينة الشخصية، الفئة الرابعة Class IV وهى الأغنى حيث تضم عدة أغراض بصحبة الدفنة. وقد أطلق على تلك الفئة (الصفوة) على أساس تميزها عن باقي الدفنات بالموقع، راجع:

Krzyżaniak, L. (1991). Early farming in the Middle Nile Basin: Recent discoveries at Kadero (Central Sudan). *Antiquity, 65*(248). p.518.

التل هى دفنات إناث. كما أن توزيع الدفنات على قمة التل يأخذ الشكل الدائري، بحيث يشمل دفنات الأفراد التي تحتوي على أثاث جنائزي وفير، بينما دفنات الأطفال وصغار السن (حتى سن المراهقة) فتتوزع بين المجموعتين دون تمييز واضح.

د- إختيار مكان مميز للدفن، نظراً لأهمية صاحبه، على سبيل المثال الدفنة رقم ١٣١ بموقع (كدركة١) ونظراً لأهميته فسوف يتم تناوله بشيء من التفصيل.

## ٢- حفرة الدفن:

بشكل عام، بالنسبة للدفنات النيوليثية بمنطقة النيل الأوسط، فهى عبارة عن حفرة بسيطة غالباً ما تأخذ الشكل الدائري أو البيضاوي، وتتنوع في أبعادها من ٨٠ سم لأصغر الحفر وحتى ٢ متر كأقصى تقدير.[١] وخلال العصر الحجري الحديث لم يتم إقامة بناء علوي أعلى الدفنة Super-structure فيما عدا بعض الدفنات بموقع (صدينجة) حيث أحيطت الدفنات بألواح أو كتل حجرية Stone Slabs وهذه الممارسة لم يتم الاستمرار فيها منذ العصر الحجري القديم، وهو أمر مثير للدهشة قليلاً أن الجماعات النيوليثية لم تقم ببناء أي جزء علوي، وإن كان يحتمل أنهم قد استخدموا مواد خفيفة ضاعت مع الزمن.[٢]

وكقاعدة عامة، فإن المتوفى كان يدفن بشكل فردي، ولكن هناك بعض الدفنات التي تضم عدة أشخاص (دفنات ثنائية أو ثلاثية)، ربما كطقس معين (؟). وعادة ما يوضع المتوفى في منتصف الحفرة (لا يوجد اتجاه مفضل بالنسبة لوسط السودان، ولكن في النوبة عادة يكون محور شرق-غرب)، على أحد جانبيه إما الأيمن أو الأيسر. أما وضع الدفن فيختلف من جبانة لأخرى حيث يتنوع من الوضع المنثني bentإلى وضع القرفصاء contracted مع الذراعين على طول جانب الجسد والأيدي عادة أمام الوجه. وقد يستلزم هذا الوضع ربط الجسد للحفاظ على هذا الوضع (أحياناً يتم الحصول على هذا الوضعية بوضع الجثمان داخل حاويةاكفن) وفي بعض الأحيان، كان يوضع وسادة أو حصيرة أسفل الجثمان كما في جبانة (كدركة١) بالنوبة العليا، حيث سمحت حالة الحفظ الجيدة لدراسة وتحليل تلك الوسائد المصنوعة من جلود الحيوانات والمحشوة بالحنطةBarley.[٣]

## ٣- الأثاث الجنائزي:

وباستثناء أغراض الزينة الشخصية، فيبدو أنه لا يوجد قاعدة معينة لتوزيع قطع الأثاث الجنائزي داخل حفرة الدفن الذي كان يتوزع حول الجسد كقطع منفردة أو كمجموعة معاً حسب نوع

1) Reniold, J. (2001). p.2

2) Reniold, J. (2001). p.2

3) Reniold, J. (2001). p.2

القطعة، وذلك باستثناء الأدوات والقطع الحجرية والمخارز المصنوعة من العظم والتي كانت توضع في بعض الأحيان بالقرب من اليدين، بينما كانت توضع جماجم وقرون الثيران Bucrania خلف الرأس. على الرغم من أن المغزى من كل قطعة لا يزال غير مفهوماً، فإن إهتمام الإنسان النيوليثي بوضع تلك القطع بصحبة المتوفى ليس من قبيل المصادفة، وإنما لأهميتها بالنسبة له.(١)

ولعل تنوع قطع الأثاث الجنائزي يساعد في تكوين صورة عامة عن القطع التي كانت تستخدم في المجتمع النيوليثي. وبالنسبة لجبانات وسط السودان، فإن حالة الحفظ الغير جيدة للعظام، قد لا تسمح بدراسة الأثاث الجنائزي والعلاقة بين جنس المتوفى وقطع الاثاث الجنائزي المصاحب له. وعلى الجانب الآخر، ففي النوبة العليا، هناك بعض القطع التي عثر عليها في دفنات الذكور أو الإناث بشكل حصري، ولكن هذا يختلف من جبانة لأخرى. أي بإختصار فإن توزيع الاثاث الجنائزي يجب أن يعكس المكانة الاجتماعية داخل المجتمع النيوليثي المحلي.(٢) ومن أبرز الأمثلة على وجود الإختلاف والتفاوت في كمية الأثاث الجنائزي: جبانة (الكدرو ١) حيث تشير الدفنات إلى وجود مجتمع طبقي أو وجود طبقة "صفوة Elite" كما أسماها (كريزيانياك) الذي يذكر أن فكرة الصفوة كانت موجودة منذ أقدم مرحلة تنتمي للعصر الحجري الحديث المبكر Early Neolithic حيث أن الدفنات الغنية التي تنتمي لتلك الفترة موجودة في القطاع الشمالي الشرقي من التل بعيداً عن مكان المستوطنات. ثم الدفنات اللاحقة (والتي لاتزال تؤرخ للعصر الحجري الحديث المبكر) قد بدأت في الدفن في الجزء الأوسط من التل ما بين المستوطنتين في مكان منعزل بينما استمر الصفوة في الدفن في هذا المكان حتى بداية العصر الحجري الحديث المتأخر Late Neolithic (الدفنات أرقام ١١٣، ١١٤)، بينما دفنات باقي المجموعة في مكان آخر. وربما استمرت جبانة الصفوة هذه لعدة قرون لاحقة.(٣)

وقد شملت جبانة الصفوة رجالاً ونساء بالغين وكذلك أطفال، ولكن يبدو أن الرجال قد لعبوا دوراً مهماً في مجتمع (الكدرو ١) كما يظهر من أثاثهم الجنائزي حيث منتجات نادرة، وتحمل طابع الرفاهية مثل: رؤوس المقامع، ورؤوس الرماح المصنوعة من العظم وأغراض الزينة الشخصية المصنوعة من المواد المستوردة (الصدف البحري والملاخيت القادمة من منطقة البحر الأحمر، والأمازونيت)، بالإضافة إلى منتجات الرفاهية المحلية (العاج والأواني الفخارية جيدة الصنعة). وربما كان من الرجال من هم متخصصين في صناعة الأدوات الحجرية لاسيما الشظايا Flakes

1) Reniold, J. (2001). p.2

2) Reniold, J. (2001). p.2

3) Krzyzaniak, L. (1991). p.527

tools حيث عثر على بقايا كسرات من الشظايا الحجرية بأحد الدفنات بينما إقتصر الأثاث الجنائزي بدفنات الإناث على الفخار، والخرز.[١]

كما أن هناك ملحوظة هامة بخصوص دفنات الأطفال في جبانة الصفوة حيث أن الأطفال قد حصلوا على هذه الرفاهية من أهلهم وهذا يدل على وجود عائلات ذات مكانة في مجتمع (الكدرو). وهذا الاختلاف الطبقي من الراجح أنه يرتكز على إقتصاد ناجح ربما كان قائماً على رعي وتربية الماشية والتي ربما كانت السبب في إعطاء الصفوة ميزة عن باقي المجتمع. وهذه الصفوة قد إرتبطت بعلاقات تجارية مع الشرق حيث المواد المستوردة القادمة من منطقة البحر الأحمر (الأصداف البحرية والملاخيت) وربما من إثيوبيا (الملاخيت)، ويرجح أيضاً أنهم قد تحكموا في مقاليد الأمور في مجتمعهم.[٢]

## ٤- التضحيات البشرية:

إن سبب الإهتمام الرئيسي بدراسة جبانات عصور ما قبل التاريخ هى أنها تمثل إنعكاس للهيكل الاجتماعي للمجموعات البشرية المدفونة بالجبانة. وبناء على التفسير المتبع للتقسيم الاجتماعي تبعاً لدرجة غنى الدفنات بالأثاث الجنائزي، فإن الجبانة الجنوبية بموقع (الكدادة) تقدم لنا منظوراً أخر للتباين الاجتماعي، حيث تم تسجيل وجود التضحية البشرية بالدفنات أرقام: KDD85, KDD76 بالجبانة الجنوبية بالكدادة. وفي الدفنة الأولى، تم التضحية بذكر بالغ لمتوفى أيضاً ذكر بالغ، بينما في الدفنة الأخرى تم التضحية بطفل يبلغ عمره حوالي من ٦-٩ سنوات وقت الوفاة لمتوفى ذكر بالغ.[٣]

- الدفنة KDD76 : تحتوي حفرة الدفن على ثلاثة هياكل بشرية مدفونة، رجح إعتبارها ذكور. ويذكر رينولد المكتشف أنه كان واضحاً أنه قد تم إعادة فتح الدفنة لدفن أخر المتوفيين الثلاثة (والذي يحمل رقم ١١٧٦)، بينما الهيكلين الأخريين (٢١٧٦، ٣١٧٦) قد تم وضعهم معاً في نفس الوقت، رغم اختلافهم في الوضعية على الجانب، لكن اتجاه الجسد نفس المحور (الجماجم نحو الجنوب). ولعل سبب تفسير رينولد وجود التضحية البشرية هو أن هذه الهياكل وهو رقم ٣١٧٦ محاط بأثاث جنائزي وفير جداً عبارة عن ٧ أواني فخارية من ضمنها كأس توليب واحد، كذلك جمجمة ثيران، وحجر رحي ١ طحن بجزئيه العلوي والسفلي، وصلاية بمقبضها بالإضافة إلى بعض قطع الملاخيت وحوالي ١٠ من صدف المحار النيلي بينما الهيكل الأخر – والمدفون معه

1) Krzyzaniak, L. (1991). p.527

2) Krzyzaniak, L. (1991). p.528

3) Reinold, J. (2001).p.4

في نفس الوقت ٢١٧٦ – تم وضعه بالجزء الأيسر بحفرة الدفن لا يوجد حوله أي شيء، بل وتم تعديل وضعه ليكون أعلى ركبتي الهيكل الأحدث رقم ١١٧٦، مع وضع طبقة عازلة بين الهيكلين عبارة عن مادة بيضاء سمكها حوالي ١٠ سم. وقد أمكن تأريخ الدفنة باستخدام الكربون المشع، وأعطت تأريخ مابين ٣٦١٠ –٣٣٩٠ سنة ق.م.[١] الدفنة رقم KDD85 :حيث دفن اثنين أحدهما شخص بالغ (ربما ذكر؟) والآخر طفل يبلغ عمره وقت الوفاة من ٨–١٠ سنوات. تم دفن الشخص البالغ في منتصف حفرة الدفن في وضع القرفصاء، بينما دفن الطفل ممدوداً على حافة الدفنة (بالكدادة تم تسجيل الوضع الممدود extended في ثلاث حالات، لكن هذه المرة الوحيدة التي يكون فيها المتوفى طفل، ويكون على الحافة بينما الشخص البالغ في الوسط) وبدراسة الطبقات وعلاقتها بتلك الهياكل البشرية تم ملاحظة وجود جمجمة ثور وبها قرن موضوعة على رقبة الطفل بحيث يصبحا معاً (الطفل وجمجمة الثور) كوسادة أو مسند رأس للشخص البالغ. أما الأثاث الجنائزي فقد تم توزيعه على شكل نصف دائرة على حدود حفرة الدفن. ويحيط الأثاث بالشخص البالغ من منطقة الظهر حتى الركبتين، بينما وضع إناء فخاري كبير الحجم خلف المتوفى، وبعض المواد الثقافية أمام وجهه، وهى عبارة عن: حجر طحن من الحجر الرملي، ووعاء للشرب وصلاية و pestle من الحجر الرملي ومجموعة من صدف المحار وصينية كبيرة الحجم. وهذه القطع تم وضعها بجانب الطفل، وغطته جزئياً.[٢]

وقد فسر (رينولد) هذه الدفنة كالآتي: أنه تم وضع جثمان الطفل أولاً، ثم الأثاث الجنائزي والذي تم توزيعه على شكل قوس أو نصف دائرة، ثم وضع الشخص البالغ داخل حفرة الدفن. وتؤكد الملاحظات حول تتابع الطبقات، ووضع الطفل داخل الدفنة وتوزيع الأثاث الجنائزي داخل الدفنة الذي يبرهن أنه كان مخصصاً فقط للشخص البالغ دون الطفل. ويقدم (رينولد) فرضية أنه بمجرد وفاة شخص مهم ذو مكانة بالمجتمع يتم تقديم تضحيات بشرية ضمن مراسم معينة، ودفنه بصحبة المتوفى.[٣]

## ٥- التضحية الحيوانية:

ظهرت التضحية الحيوانية في الجبانات النيوليثية في منطقة النيل الأوسط، ولعل أكثرها شيوعاً بالدفنات هى جماجم وقرون الثيران Bucrania ، وهذا يشير إلى الدور الهام الذي لعبته تلك الحيوانات في الحياة اليومية، وهى نقطة أخرى ترتبط بنمط الحياة الرعوية ولها دور هام في السياق الطقسي Ritual Milieu ، وهى (استهلاك اللحوم) وهو ما يتضح من وجود قرون الماشية والبقايا

1) Reinold, J. (2001).p.4

2) Reinold, J.(2001).p.4

3) Reinold, J.(2001).p.4

الحيوانية الأخرى (سواء برية أو مستأنسة) مع الدفنات البشرية. وربما يرجع أصل هذه الممارسات إلى شمال شرق إفريقيا حيث الفترة الإنتقالية ما بين البلاستوسين والهولوسين.[١] على سبيل المثال: في توشكي حيث تم الكشف عن دفنات آدمية تؤرخ إلى نهاية البلاستوسين حوالي ١٢٠٠٠- ١٠٠٠٠ ق.م بصحبة عدد من جماجم الماشية[٢]. ربما بسبب تربية عدد كبير من القطعان المستأنسة، يقترح وجود احتفال طقسي، كما أنه يتم من خلاله تقوية العلاقات الاجتماعية بين أفراد الجماعة البشرية المصاحبة لهذه الاحتفالات.[٣] وبجانب التضحيات الحيوانية من الماشية، والماعز والخراف، فقد تم التضحية بحيوانات أخرى مثل الكلاب، حيث توجد إحدى الدفنات بالكدادة لرجل بالغ محاط بثلاث تضحيات: تضحية بشرية، واثنين من الكلاب.[٤]

تجدر الإشارة إلى أن التضحيات الحيوانية قد ظهرت بشكل متكرر في الجبانات النيوليثية، وجبانات عصر ما قبل الأسرات في مصر العليا، والنوبة العليا أيضاً. ويتنوع وجود الحيوان ما بين أجزاء منه كالساقين، وقرون وجماجم الماشية **Bucrania**. ولعل أشهر الأمثلة، وأهمها إحدى الدفنات في هيراكونبوليس (الكوم الأحمر) بالكاب التي تؤرخ لحوالي ٣٦٥٠ ق.م. ولا يقتصر تميّز هذه الدفنة بوجود العديد من الدفنات الجانبية **Satellite Graves** التي تحيط بالدفنة الرئيسية التي قدمت لأجلها تلك التضحيات (والتي يمكن تفسيرها أنها دفنات أسرية أو عائلية)، لكن أيضاً يوجد حوالي ٤٦ دفنة حيوانية متعددة سواء برية أو مستأنسة مثل: ثور الأرخص، الفيل، البقر، **Calf**، الماعز، الثور، الوحش **Hartebeest**، الكلاب، القطط، قرد البابون، وفرس النهر. وقد تم التعامل مع أجساد الحيوانات بعناية حيث يحتمل أن الحيوانات كانت محاطة أو معطاة بغطاء أو كفن كأجساد البشر.[٥]

## ٦- المواد الخام المستوردة:

1) Wengrow, D. (2014). Cultural convergence in the Neolithic of the Nile Valley: a prehistoric perspective on Egypt's place in Africa. *Antiquity, 88*. pp.105-6

2) Wendorf, F. (1968). Site 117: A Nubian Final Paleolithic Graveyard near Gebel Sahaba, Sudan. In F. Wendorf. (ed.), *The Prehistory of Nubia*. Dallas. p.875

3) Wengrow, D. et al. (2014). p.106

4) Dittrich, A. (2011) Neolithization in progress, the advant of domesticates in Northeastern Africa. In: Stefan Burmeister, Reinhard Bernbeck (eds.) The Interplay of People and Technologies. Archaeological case studies on innovations. *Berlin Studies of the Ancient World* 43. pp.71-72

5) Friedman, F. Van Neer, W. and Linseele, V. (2011). The Elite Predynastic Cemetery at Hierakonpolis- 2009-2010 Update. In: Friedman, R. F. and Fiski P. N. (eds.). *Egypt at its origins 3, Proceedings of the Third International Conference of the State, Predyanstic and Early Dynastic Egypt, London*, 27th July-1st August 2008 Leuven: Peeters. p.175

من خلال دراسة الأثاث الجنائزي المصاحب للدفنات في منطقة النيل الأوسط (النوبة العليا، ووسط السودان)، نجد العديد من المواد الثقافية التي عثر عليها كأثاث جنائزي مصاحب للدفنات مصنوعة من مواد خام مختلفة تختلف عن الصخور المحلية، وتشمل: الأمازونيت، السربتين، والسينايت، الأمفيبوليت، الجابرو – ديوريت، الديوريت، والنيس (ربما قادمة من الصحراء الشرقية؟) .هذا بالإضافة إلى صدف المحار البحري القادم من منطقة البحر الأحمر، ومادة الملاخيت الأخضر القادمة أيضاً من منطقة البحر الأحمر. وتشكل دراسة المواد المستوردة القادمة من خارج البيئة المحلية نقطة هامة تستحق الوقوف عندها نظراً لأنها تشمل عدة جوانب:

١. فهم طبيعة التبادل التجاري بين مواقع الجبانات (المستوردة)، ومناطق المصدر.
٢. تحديد أهمية المادة\ المواد المستوردة، فلابد أنها مواد مميزة أو لها أهمية خاصة.
٣. توزيع المادة/ المواد المستوردة في مواقع الجبانات، والدفنات وبعضها.

ظهرت المواد المستوردة مثل الخرز المصنوع من الأمازونيت والأوبسديان وصدف المحار القادم من منطقة البحر الأحمر في أوائل الألفية السادسة ق.م في دفنات البرقة في منطقة كرمة. وفي جبانة R12 التي تؤرخ للعصر الحجري الحديث الوسيط حيث عثر على خرز والدلايات المصنوعة من الأمازونيت، وكتل صغيرة مع مواد أخرى ذات أهمية مميزة مثل الملاخيت، وصدف المحار البحري، وهى موزعة على الدفنات بشكل متباين. وفي ضوء ذلك، يفترض بعض الباحثين من خلال دراسة توزيع المواد المستوردة أو المميزة بالدفنات مثل مسحوق وكتل الملاخيت والخرز المصنوع من الأمازونيت، أن المجتمعات النيوليثية خلال الألفية الخامسة ق.م كان لديها معتقدات وأفكار رمزية بخصوص تلك المواد التي تتعلق بشكل أساسي بزينة الجسد. ويعد استخدام تلك المواد إشارة على الهوية الثقافية لهذا المجتمع. بالإضافة إلى ذلك، فإنه بداية من منتصف الألفية الخامسة ق.م، فإن إنتاج المواد الثقافية الأخرى كالفخار يعكس السمات المحلية وبقوة، كما يظهر في مرحلة الملتقىMultaga Phase في النوبة العليا، ومرحلة الشاهيناب Shaheinab Phase في وسط السودان. وعلى مستوى أكثر محلية، فإن المجتمعات النيوليثية – بالرغم من التطور الاجتماعي الذي حدث في نهاية الألفية الخامسة ق.م، ووجود العديد من السمات المشتركة فيما بينها، فإنه لا يزال هناك بعض السمات المحلية في المواد المستخدمة في السياق الجنائزي. وحتى لو كان استخدام مواد مستوردة يعتبر مؤشراً على مكانة المتوفى، فإن لا يزال من الصعب تتبع وتحديد الطرق التجارية الخاصة بكل مادة بدقة، وتحديد قنوات الإتصال بين المجتمعات النيوليثية وماحولها.[١]

1) Zerboni, A., Salvatori, S., Vignola, P., Ali Mohammed, A., & Usai, D. (2018). The long-distance exchange of amazonite and increasing social complexity in the Sudanese Neolithic. *Antiquity, 92*(365).p.1200.

- **الأمازونيت:**

**يتنوع توزيع الامازونيت في المواقع الأثرية في السودان خلال العصر الحجري الحديث، لكن تم تسجيل العثور عليه في شمال السودان في أكثر من موقع، وفي وسط السودان بشكل أقل. لكن مع الوضع في الإعتبار أن الأمازونيت ليس موجوداً في كل مواقع الجبانات، وليس في جميع الدفنات، وإنما في عدد منها فقط. ويقترح توزيع الأمازونيت أنه كان له رمزية معينة.(١) وكان خرز الأمازونيت شائع الاستخدام إلى حد ما كعقود كان يرتديها سكان (R12) لكنه نادراً للغاية وسط حلى الأفراد في جبانات (الغابة) و(الكدرو)، مع ملاحظة أن المواقع الثلاثة بالكاد متعاصرة، لكنها تعرض اختلافات هامة سواء في السلوك الاجتماعي في عادات الدفن والممارسات الجنائزية. ونظراً لتعدد أشكال الخرز الذي عثر عليه في موقع (R12)، مع ترجيح صناعته محلياً، فإنه لابد أنه كان يوجد ورش متخصصة لصناعة الخرز.(٢)**

**ومن خلال ترجيح الصناعة المحلية للخرز المصنوع من الأمازونيت محلياً، فهذا يدل على وجود ورش مخصصة (أو شبه مخصصة) لذلك، وهو مايشير إلى الميل لوجود تقسيم اجتماعي داخلي. وهذا التخصص تم رصده أيضاً في إنتاج الفخار خلال أواخر الألفية الخامسة ق.م. وفي نفس السياق، فإن الحصول على المواد الخام المستوردة غير المحلية يعكس وجود علاقات تواصل ما بين المجتمع المحلي ومجتمعات اخرى اقليمية للحصول على هذه المواد. ويمكن إعتبار كمية المواد الخام المستوردة القادمة من مناطق أخرى مؤشراً على حجم علاقات التواصل بين المجتمعات والمناطق الأخرى. كما أن كمية وعدد هذه المواد (التي يعتبر الحصول عليها أصعب من المواد المتوفرة محلياً) بالدفنة مؤشراً على مكانة صاحبها وتميزه وسط مجتمعه.(٣)**

**من خلال الدراسة المفصلة لبعض المواد مثل الأمازونيت الذي عثر عليه سواء على هيئة كتل صغيرة أو خرز ببعض الجبانات مثل R12 لمعرفة مصدر هذا الحجر. وكان يعتقد لفترة طويلة أنه قادم من منطقة تبستي بالصحراء الوسطى، وقد تم دراسة التركيب الكيميائي لبعض حبات الأمازونيت الذي عثر عليه بجبانة R12 ، وقد تم استبعاد هذا الإحتمال حيث من الدراسة الجيولوجية لحجر الأمازونيت، تم التأكد من أنه قادم من منطقة Kenticha بمرتفعات إثيوبيا. ولم يتم دراسة التبادل التجاري بين منطقة النيل الأوسط (وادي النيل حيث النوبة العليا ووسط السودان) من جهة وبين إثيوبيا جنوباً من جهة أخرى نظراً لقلة المعلومات والدراسات التي تناولت إثيوبيا خلال العصر الحجري**

1) Zerboni, A. et al. (2018). p. 1199

2) Zerboni, A. et al. (2018). pp. 1200-1201

3) Zerboni, A. et al. (2018). p.1199

الحديث، لكن يحتمل أن منطقة شرق السودان كان لها دوراً هاماً في هذا التبادل، خاصة لأنه يوجد أدلة على تبادل تجاري خلال العصور اللاحقة خلال الألفية الثالثة والثانية ق.م. [1] وفي ظل المعطيات الحالية، يصعب تحديد الطريق التجاري لنقل المواد الخام كالأمازونيت من إثيوبيا إلى المواقع بوادي النيل، سواء كانت في هيئة مواد خام أو منتجات مصنعة. وإن كان أغلب الظن أنها كانت تصنع محلياً نظراً للعثور على خرز غير مكتملة الصناعة، وكتل صغيرة خام داخل الدفنات عثر عليهم بصحبة أغراض أخرى كخرز مصنوع من العقيق والزيوليت وقشر بيض النعام.[2]

ومن المرجح أن لحجر الأمازونيت كان له أهمية خاصة، فالأمازونيت (وهو حجر أخضر اللون يميل أحياناً للون الأزرق)، ربما كان اللون الأخضر له أهمية أو دلالة خاصة ترتبط بالزراعة مثلا؟ وإن كان يجب الإشارة إلى أن مجتمعات السودان النيوليثية يغلب عليها الطابع الرعوي أو على الأقل تعتمد على الزراعة – الرعي معاً. لكن هناك أيضاً أدلة حديثة تشير إلى معرفة زراعة أنواع غير برية من الحبوب في النوبة العليا ووسط السودان خلال النصف الثاني من الألفية السادسة ق.م أو قبلها. وفي كلا الاحتمالين، فإن التغير في البناء الإجتماعي –الإقتصادي في مجتمعات العصر الحجري الحديث في منطقة النيل الأوسط ربما قد شجع السكان على البحث وراء مواد أكثر تميزاً لاستخدامها (ووضعها في الدفنات).[3]

- صدف المحار البحري:

تم تسجيل العثور على صدف محار بحري قادم من البحر الأحمر في مواقع: البرقة، R12 ومواقع أخرى على وادي النيل، يوضح وجود على الأقل طريق واحد من النوبة العليا ووسط السودان لساحل البحر الأحمر، وكان مستخدماً منذ أوائل الألفية السادسة ق.م إلى الألفية الرابعة ق.م. ففي جبانة البرقة عثر على صدف محار قادم من البحر الأحمر من أنواع Glycymeris pectunculus, cypraea sp.[4]. وقد عثر في مواقع (R12 ) بالنوبة العليا، و(الكدرو) بوسط السودان على نوع Polita Nerita وهو نوع صغير الحجم تم استخدامه في صنع أكاليل أو رداء رأس كان يوضع على رأس المتوفي، مثل الدفنة رقم ٦٠ بموقع (R12 ) حيث وضع إكليل مكون من صفين من الخرز المصنوع من قشر بيض النعام، وصف واحد من صدف المحار من نوع Nerita Polita .

1) Zerboni, A. et al. (2018). pp. 1197-1198

2) Zerboni, A. et al. (2018). p. 1198

3) Zerboni, A. et al. (2018). p. 1198

4) Honegger, M. (2004). Settlement and Cemeteries of the Mesolithic and Early Neolithic at El-Barga (Kerma region). *Sudan & Nubia*(8). p.31.

وفي موقع (الكدرو)، الدفنة التي تحمل رقم ٦٠ أيضاً، كان المتوفى يرتدي إكليل مكون من عدة صفوف من صدف محار Nerita Polita على رأسه.

وبالنظر إلى تلك العناصر السابق ذكرها، نجد هناك مثالاً هاماً يتجسد فيه معظم هذه النقاط التي تشير إلى أهمية المتوفى صاحب القبر، ويوجد هذا المثال بجبانة كدركة ١، ويحمل رقم ١٣١ أو (قبر الزعيم) كما أطلق عليه رينولد ونظراً لأهميته فسيتم تناوله بشيء من التفصيل.

- الدفنة\ القبر ١٣١ Grave بجبانة كدركة١ كنموذج على التباين الاجتماعي:

تشغل الدفنة أو القبر رقم 131 مساحة مميزة قريبة من مركز التل بجبانة (كدركة ١). أما الدفنات الأخرى، فتوزعت بحيث تكّون دائرة مركزها هذا القبر. ويؤكد الأثاث الجنائزي الوفير على المكانة المميزة لصاحبه، حيث يضم القطع المميزة كماً وكيفاً عن أغلب الدفنات النيوليثية سواء في النوبة العليا أو في وسط السودان بشكل عام، وفي جبانة كدركة١ بشكل خاص.

أ- حفرة الدفن: يأخذ القبر شكل حفرة دائرية الشكل قطرها حوالي متر ونصف بأعلى نقطة في الكوم المخصص للدفن. كما أنه يعتبر أعمق حفرة دفن في الجبانة كلها حيث أن عمق الحفرة قد وصل إلى الطبقة الرملية الواقعة أسفل الطبقة الطمييية. وتم وضع الجثمان في وسط الحفرة، والمتوفى ذكر بالغ قدر عمره وقت الوفاة أكثر من ٤٠ عاماً.[١]

ب- وضع الدفن: تم وضع الجثمان على جانبه الأيمن، وهو وضع غير معتاد في هذه الجبانة، في وضع القرفصاء، ومحور الهيكل شرق-غرب، ووضعت الجمجمة تجاه الشرق بينما ينظر الوجه ناحية الشمال.[٢]

ج- معالجة الجسد: تم تغطية الجسد بطبقة واحدة أو أكثر من جلود الأبقار والتي يميل لونها للأصفر. كما تم وضع الجثمان على طبقة من العناصر النباتية (ككفن؟). ويرتدي المتوفى أسورة من العاج على المعصم الأيمن، وبعض الخرز أنبوبي الشكل مصنوع من حجر Agate الصواني حول الرقبة.[٣]

د- الأثاث الجنائزي: بالنسبة للأثاث الجنائزي، فهو موزع على عدة مجموعات: إما على يسار المتوفى (ناحية الشمال داخل الدفنة)، أو أعلى الجسد مباشرة، أو يحيط بالجسد على حواف حفرة الدفن. فعلى الجانب الغربي، وُضع تمثال صغير من الحجر الرملي بهيئة أدمية بالقرب من كتلة حجرية ملطخة باللون الاصفر. وإلى الشمال، نجد مجموعة من الأثاث الجنائزي عبارة عن: فأس

1) Reniold, J. (2001). p.8.

2) Reniold, J. (2001). p.8

3) Reniold, J. (2001). p.8

**حجرية صغيرة الحجم، ثلاث من رؤوس المقامع. وبالنسبة للمجموعة الواقعة شرقاً فهي تعتبر الأكثر أهمية حيث تضم صدف من محار Aspathbaria وإناء لمواد التجميل، ومقبض لأداة من العظم (أداة مركبة وتم تعديلها)، وإبرة ونموذج مصغر لفأس مصنوع من العاج. بينما في الجنوب، وضعت ٤ رؤوس مقامع . أما على الهيكل نفسه، فقد وضع اثنين من جماجم الثيران عليهم آثار لمادة بيضاء، كما وضعت أداة تستخدم للتنعيم أو للصقل وأداة أخرى تستخدم كمدق، بالإضافة إلى اثنين من رؤوس المقامع. وفي حفرة الدفن، تم وضع كأس توليب وكأس ذو زخارف ملونة وتم وضعهم خلف الجمجمة. وأمام الجسد تم وضع اثنين من صلايات التجميل، واحدة من الديوريت بينما الأخرى من الحجر الرملي، وجرة من الفخار. وأمام الساقين، تم وضع حجر طحن (رحي) من الحجر الرملي، محاط بإثنين من الأمشاط المصنوعة من العاج. وأخيراً، يوجد محموعة من الأواني الفخارية عبارة عن: ٣ أواني ، وكأسين وجرة كبيرة الحجم والتي وضعت معاً خلف المتوفى.[١]**

1) Reniold, J. (2001). p.8

## النتائج:

يظهر من خلال الدراسة المفصلة للدفنات المكتشفة في منطقة النيل الأوسط، والتي تؤرخ للعصر الحجري الحديث، وجود تباين سواء بين المواقع وبعضها، أو بين الدفنات في نفس الموقع. ويتنوع هذا التباين ما بين اختيار بقعة مميزة للدفن وسط باقي الدفنات، و/أو الدقة والحرص في عمل حفرة الدفن نفسها و/أو في الأثاث الجنائزي المصاحب للمتوفي كماً وكيفاً. وعلى هذا الأساس، يمكن تلخيص عدداً من النتائج:

١. ظهور دفنات مميزة سواء في موقعها، حفرة الدفن أو في الأثاث الجنائزي المصاحب يدل على تميز مكانة صاحبها داخل مجتمعه. وفي بعض الأحيان، يكون هذا التميز واضحاً لنوع بعينه على حساب باقي الدفنات (مثل الذكور في موقع الكدرو ١)، بينما في أحيان أخرى، هناك بعض الدفنات المميزة للنساء (مثل موقع الكدادة) والأطفال (مثل موقع البرقة). وعلى النقيض، في بعض المواقع، لا يكون هناك تباين واضح بين الدفنات وبعضها داخل الموقع الواحد، مثل موقع (R12) على سبيل المثال حيث تكاد تتفق الدفنات في كمية الأثاث الجنائزي.

٢. ظهور بعض الأثاث الجنائزي المميز ببعض الدفنات يدل على تميزها، ولعل أهم الأثاث المميز: كأس التوليب Tulip Beaker الذي ظهر ببعض الدفنات خلال العصر الحجري الحديث المتأخر Late Neolithic ، ويقتصر وجوده في دفنات الذكور في موقع (الكدرو)، وفي بعض الدفنات المميزة بكدركة، بينما يظهر في العديد من الدفنات بموقع (R12). ومن الأثاث الجنائزي المميز أيضاً: الأدوات والأغراض المصنوعة من مواد مستوردة قادمة من خارج البيئة المحلية، مثل: صدف المحار المحري القادم من منطقة البحر الأحمر، والملاخيت القادم أيضاً من منطقة البحر الأحمر، وحجر الأمازونيت الذي أشارت إليه الدراسات الحديثة أنه قادم من إثيوبيا جنوباً.

٣. ظهور التضحية البشرية في بعض المواقع يعد مؤشراً محتملاً على وجود مجتمع غير مساوي للبشر (مثل موقع الكدادة). وتجدر الإشارة إلى غياب تلك الممارسة في المواقع القريبة منه (زمنياً ومكانياً) وهو موقع الغابة حيث لم يتم رصد أي تضحيات بشرية بالموقع، مع ملاحظة عدم وجود تمييز واضح بين الدفنات وبعضها.

٤. ظهور بعض دفنات الأطفال وسط دفنات الصفوة يدل على أنهم قد حصلوا على مكانتهم من خلال ذويهم (مثل موقع الكدرو ١ على سبيل المثال).

يشير التباين الاجتماعي إلى وجود عامل قوي على أساسه تم تمييز بعض الأشخاص على حساب الآخرين. وأقرب وأوضح العوامل هو عامل الثروة، وهو ما يرجح وجود نظام اقتصادي لهذه المجتمعات يدعمه وجود تبادل تجاري بين منطقة النيل الأوسط والمناطق فيما حولها مثل منطقة البحر الأحمر، وإثيوبيا. وأغلب الظن أن الماشية قد لعبت دوراً كبيراً في هذا النظام الاقتصادي، ويظهر ذلك واضحاً من خلال الدور الذي لعبته الماشية سواء في الحياة اليومية كمصدر للطعام، أو في الأثاث الجنائزي المصاحب للمتوفى كقرون وجماجم الماشية التي تظهر بشكل واضح في الدفنات النيوليثية بمنطقة النيل الأوسط خاصة بمواقع (R12 ، البرقة، كدركة، الغابة، الكدادة).

## الصور والأشكال

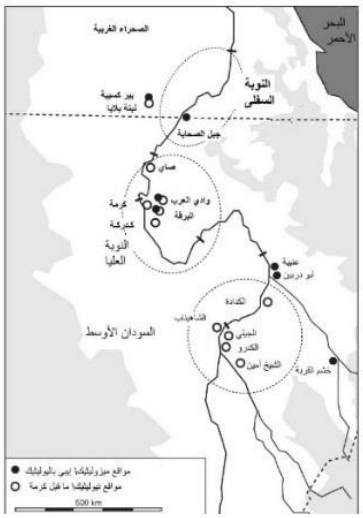


**شكل رقم (١): خريطة توضح منطقة النيل الأوسط: النوبة السفلى شمالاً، النوبة العليا، ثم السودان الأوسط جنوباً مع أهم المواقع التي ترجع لعصور ما قبل التاريخ: العصر الحجري الوسيط (الميزوليثي)، والعصر الحجري الحديث (النيوليثي) بالمنطقة. المصدر: نقلاً عن:**

**Honegger, M., Williams, M. (2015). Human occupations and environmental changes in the Nile valley during the Holocene: The case of Kerma in Upper Nubia (northern Sudan). Quaternary Science Reviews, p.2.**

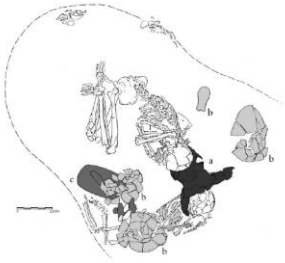

**شكل رقم (٢): أحد نماذج التضحية الآدمية بجبانة الكدادة بوسط السودان، حيث وضع الميت وتوزع حوله الأثاث الجنائزي عبارة عن: جمجمة ماشية Bucrania وجثمان لطفل يبلغ عمره حوالي ١٠ أعوام وقت الوفاة يرجح كونه تضحية بشرية حيث أنه وضع أسفل الأثاث الجنائزي للميت صاحب الدفنة، بالإضافة إلى أواني فخارية b متنوعة، ومطحن وصلاية. المصدر:**

**Dittrich, A. (2011).p.85**

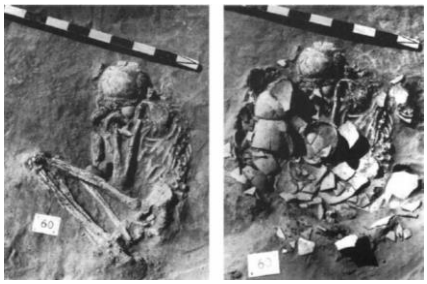

شكل رقم (٣): الدفنة رقم ٦٠ وهى من أغنى الدفنات التي ترجع للعصر النيوليثي المبكر بجبانة الكدرو ١، وبذلك فهي تنتمي للفئة الرابعة حسب تصنيف كريزانياك. يظهر بالصورة المتوفى في وضع القرفصاء، ويتوزع حوله الأثاث الجنائزي وهو عبارة عن أواني فخارية من طراز أواني الشاهيناب (وأيضاً ظهرت بالمستوطنة بالكدرو ١)، بينما وضع إكليل حول رأس المتوفى عبارة عن صفوف من محار بحري قادم من البحر الأحمر. المصدر: Krzyżaniak, L. (1991).p.525

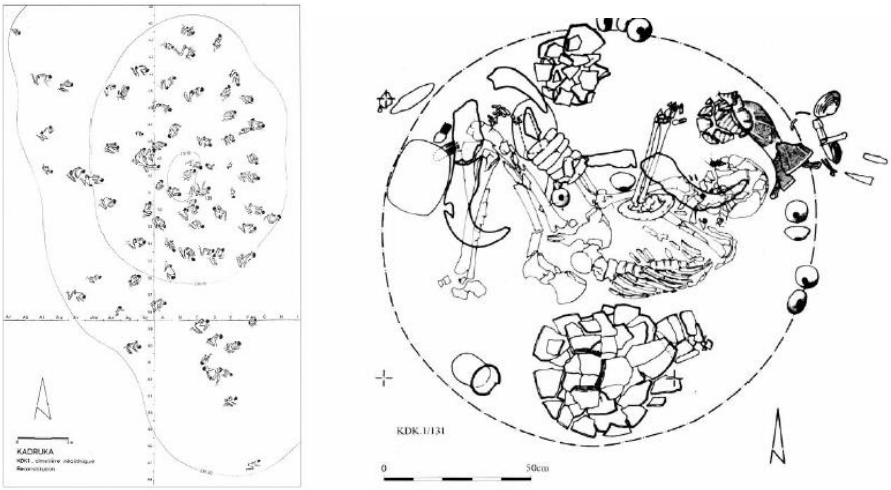

شكل رقم (٤): على اليمين: مخطط لجبانة كدركة ١، ويظهر القبر رقم ١٣١ يتوسط الجبانة. على اليسار: تخطيط للقبر رقم ١٣١ بجبانة كدركة ١ (أو قبر الزعيم كما أطلق عليه رينولد)، يظهر فيه المتوفى ويتوزع حوله الأثاث الجنائزي. المصدر: Reniold, J. (2001). pp.7- 8

## قائمة المراجع:

١- المراجع العربية :

- أزهري مصطفى صادق. (أكتوبر ٢٠١١). الإقتصاد الرعوي وتطور النظم الاجتماعية في السودان في فترة العصر الحجري الحديث (٥٠٠٠-٣٠٠٠ق.م). مجلة الدراسات السودانية، المجلد ١٧، صص ١٢٣-١٥٦.
- نصر أحمد حامد.(ديسمبر ٢٠١٤) تباين مقابر آفاق العصرالحجري الحديث في السودان (الشكل والمحتوى) من خلال موقعي رتيج بالسبلوقة وقلعة شنان بشندي). مجلة أداب (العدد ٣٣)، صص ١٧١-١٩٦.

٢- المراجع الأجنبية:

- Connah, G. (2001). African Civilizations: An Archaeological Perspective (Second Edition ed.). Cambridge, UK: Cambridge University Press.
- Dittrich, A. (2011) Neolithization in progress, the advant of domesticates in Northeastern Africa. In: Stefan Burmeister, Reinhard Bernbeck (eds.) The Interplay of People and Technologies. Archaeological case studies on innovations. Berlin Studies of the Ancient World 43.
- Friedman, F. Van Neer, W. and Linseele, V. (2011). The Elite Predynastic Cemetery at Hierakonpolis- 2009-2010 Update. In: Friedman, R. F. and Fiski P. N. (eds.). Egypt at its origins 3, Proceedings of the Third International Conference of the State, Predyanstic and Early Dynastic Egypt, London, 27th July-1st August 2008 Leuven: Peeters.
- Honegger, M. (2004). Settlement and Cemeteries of the Mesolithic and Early Neolithic at El-Barga (Kerma region). Sudan & Nubia(8), 27-32.
- Honegger, M., Williams, M. (2015). Human occupations and environmental changes in the Nile valley during the Holocene: The case of Kerma in Upper Nubia (northern Sudan). Quaternary Science Reviews, pp.1-14
- Krzyżaniak, L. (1991). Early farming in the Middle Nile Basin: Recent discoveries at Kadero (Central Sudan). Antiquity, 65(248), 515-532.
- Reinold, J. (2001). Kadruka and the Neolithic in the Northern Dongola Reach, Sudan & Nubia. SARSN 5 (2001).pp. 2-10.

- BIBLIOGRAPHY \m ٢٠١١صادق \l 3073 BIBLIOGRAPHY \m Sad10 \l 1033 Sadig, A. M. (2010). Neolithic Settlement Patterns and Cultural Sequence of Nubia (Northern Sudan). Sahara, 21, 117-140.

BIBLIOGRAPHY \m Dav14 \l 1033

- BIBLIOGRAPHY \m Sad101 \l 1033 Sadig, A. (2010). The Neolithic of the Middle Nile Region: An Archaeology of Central Sudan and Nubia (First Edition ed.). Kampala, Uganda: Fountain Publishers.
- Salvatori, S., and Usai, D. (eds.) (2008). A Neolithic cemetery in the Northern Dongola Reach (Sudan): Excavation at Site R12. Oxford: Archaeopress.
- Welsby, D. A. (ed.) (2001). Life in the Desert: Seven Thousand Years of Settlement in the Northern Dongola Reach, Sudan. Sudan Archaeological Research Society Publications 7(2). Oxford: Archaeopress.
- BIBLIOGRAPHY \m Wen68 \l 1033 Wendorf, F. (1968). Site 117: A Nubian Final Paleolithic Graveyard near Gebel Sahaba, Sudan. In F. W. (ed.), The Prehistory of Nubia (pp. 954-995). Dallas.
- Wengrow, D. (2014). Cultural convergence in the Neolithic of the Nile Valley: a prehistoric perspective on Egypt's place in Africa. Antiquity, 88, 95-111.
- Zerboni, A., Salvatori, S., Vignola, P., Ali Mohammed, A., & Usai, D. (2018). The long-distance exchange of amazonite and increasing social complexity in the Sudanese Neolithic. Antiquity, 92(365), pp. 1195-1209.

- المراجع الإلكترونية:

- Usai, D. (2016)_____ HYPERLINK "https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780199935413.013.56" https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780199935413.013.56 (accessed on 1\7\2019)